

صيد الخاطر

228 - - فصل : عناد الكافرين .

طال تعجبي من أقوام لهم أنفة و عندهم كبر زائدة في الحد .
خصوصا العرب الذين من كلمة ينفرون و يحاربون و يرضون بالقتل حتى إن قوما منهم أدركوا الإسلام فقالوا : كيف نركع و نسجد فتعلونا أستاذنا ؟ .
فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [لا خير في دين ليس في ركوع و لا سجود] .
و قد كان قوم يعبدون الخيل و البقر و إن هؤلاء لأخس من إبليس أنف لإدعائه الكمال أن يسجد لناقص فقال : { أنا خير منه } و فرعون أنف أن يعبد شيئا أصلا .
فالعجب ذل هؤلاء المفتخرين المتعاطمين المتكبرين لحجر أو خشبة .
و إنما ينبغي أن يذل الناقص للكاملين و قد أشير إلى هذا في ذم الأصنام في قوله تعالى :
{ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبسطون بها أم لهم أعين يبصرون بها } .
و المعنى : أنتم لكم هذه الآلات المدركة و هم ليس لهم فكيف بعد الكامل الناقص ؟ .
غير أن هوى القوم في متابعة الأسلاف و استحلاء ما اخترعوه بآرائهم غطى على العقول فلم تتأمل حقائق الأمور .
ثم غطى الحسد على أقوام فتركوا الحق و قد عرفوه .
فأمية بن أبي الصلت يقر برسول الله صلى الله عليه و سلم و يقصده ليؤمن به ثم يعود فيقول :
لا أؤمن برسول ليس من ثقيف .
و أبو جهل يقول : و الله ما كذب محمد قط و لكن إذا كانت السدانة و الحجابة في بني هاشم
ثم النبوة فما بقي لنا ؟ .
و أبو طالب يرى المعجزات و يقول : إن لأعلم أنك على الحق و لولا أن تعيرني نساء قريش
لأقررت بها عينك .
فتعود بالله من ظلمة حسد و غيابة كبر و حماقة هوى يغطي على نور العقل .
و نسأله إلهام الرشد و العمل بمقتضى الحق